الفصل الثالث عشر

التطبيع..
حلم أم واقع؟

obeikandl.com

obeikandl.com

كانت انتخابات الكنيست ورئاسة الحكومة الإسرائيلية التي جرت في مايو ١٩٩٩، وشارك بالتصويت فيها، ولأول مرة في التاريخ، موظفون في ممثلية إسرائيلية بالخليج العربي – في قطر وسلطنة عمان – تشير بشكل رمزي وعملي في نفس الوقت على بداية فصل النهاية لبعثتنا في الدوحة. وشكل التصويت في مقر الممثلية بوسط الدوحة نهاية مرحلة إنشاء الممثلية، التي بدأت فعليا عشية الانتخابات التي جرت قبل ذلك بثلاث سنوات، في مايو ١٩٩٦. وتبخرت مشاعر التشكك التي كانت ممزوجة بالخوف بشكل عام، في المرحلة الأولى من عمل الممثلية، بل إن الوضع الذي كان يوصف قبل ذلك ببضع سنين بأنه «لا يخطر على بال أحد»، حيث يقوم ٦ إسرائيليين بوضع أوراق تصويتهم بالانتخابات الإسرائيلية في صندوق اقتراع بالدوحة، بات علامة على تأكيد الوجود والحضور الإسرائيلي. وبدا هذا الحضور، على الرغم من الصعود والهبوط في عملية السلام، انه حضور دائم وأكثر استقرارا وأمنا. واتصل بنا وزير خارجية إسرائيل آنذاك أريل شارون، ليهنئنا بهذا الحدث التاريخي المتمثل في مشاركتنا بالانتخابات الإسرائيلية من قطر.

كانت الانتخابات، التي تنافس فيها بنيامين نتنياهو وايهود باراك على رئاسة الحكومة (الإسرائيلية)، ذات أهمية كبيرة لصورة إسرائيل في المنطقة، خاصة لأنها أكدت على استقرار الديمقراطية الإسرائيلية. وبدا مقر الممثلية الإسرائيلية بالدوحة في استقبال الكثير من الاتصالات الهاتفية من صحفيي ومسؤولي الصحف القطرية، التي اهتمت بتفاصيل الاقتراع في إسرائيل. وأوضح هذا الاهتمام البارز أنه إلى جانب الانتقاد اللاذع لسياسة إسرائيل في العالم العربي، كان هناك تقدير كبير لها لأنها تتيح لمواطنيها في كل أنحاء العالم، بمن فيهم العاملين في الدول العربية، باستخدام حقهم الانتخابي والتأثير بذلك في السياسة المستقبلية. وفي المنطقة

المحرومة من الديمقراطية كان في ذلك رسالة أقوى بكثير من أي مقال يحاول أن يشرح مواقف إسرائيل. وفي مارس ١٩٩٩، قبل أشهر قليلة فقط من الانتخابات الإسرائيلية، أجريت في قطر الانتخابات غير المسبوقة لمجلس الحكم المحلي، التي شهدت منح النساء حق الترشح والانتخاب لأول مرة.

بعد إعلان نتائج الانتخابات في إسرائيل، وانتخاب إيهود باراك لرئاسة الحكومة، تجددت الآمال في قطر بشأن تحقيق تقدم أسرع في عملية السلام بالشرق الأوسط، مما فتح الباب أمام استئناف التقدم على صعيد العلاقات بين البلدين. وطالب المسؤولون، الذين كانوا يؤيدون إقامة علاقات مع إسرائيل، بانتهاز الفرصة السانحة لدفع هذه العلاقات. وحافظ المستوى الرسمي على تفاؤله الحذر، وأصدرت الحكومة القطرية بيانا حثت فيه رئيس الحكومة (الإسرائيلية) على «اتخاذ خطوات فعلية وجادة لإعادة عملية السلام إلى مسارها، عن طريق تنفيذ الاتفاقيات المبرمة مع الفلسطينيين واستئناف المفاوضات مع السوريين». وكانت النبرة المتفائلة واضحة للغاية في المحادثات مع كبار المسؤولين بالحكومة القطرية. وأعرب بعضهم عن اهتمامه باستئناف العلاقات مع إسرائيل وبحث السبل لدفع الملفات المشتركة التي ظلت على الرف لفترة طويلة. ولم تدم الانطباعات طويلا حتى تحققت نتائج ملموسة على الأرض، والموضوعات الإدارية المختلفة التي كانت تتعلق بمهام عمل الممثلية الإسرائيلية حظيت فجأة باهتمام كبير من جانب السلطات القطرية. إضافة إلى ذلك، بدأ رجال أعمال قطريون في الاتصال ثانية بالممثلية لاستئناف علاقاتهم مع رجال أعمال إسرائيليين. وطبت شركة الطيران القطرية Qatar Airways بحث السل لتوطيد علاقات الطيران، بل وبدأت في بيع تذاكر طيران في إسرائيل.

لم يكن هناك عدد قليل من الجماهير ممن تمسكوا بمعارضتهم لدفع مسيرة التطبيع. وأدت كل إشارة على تنشيط العلاقات بين قطر وإسرائيل إلى إثارة ردود فعل معارضة، تتضمن الضغط على رجال الأعمال لمنعهم من توطيد علاقاتهم مع إسرائيل. بل وحتى في مؤسسات الحكم القطري لم يكن الطريق سهلا أمام المسؤولين الذين وقفوا إلى جانب دفع العلاقات مع إسرائيل. فقد اضطروا إلى مواصلة مواجهتهم مع أولئك الذين تمسكوا بمواقفهم المحافظة، وحرصوا على توخي الحذر. ولكن رغم استمرار المعارضة الشديدة لهذه العلاقات من جانب الكثيرين، جاء انتخاب ايهود باراك لرئاسة الحكومة في إسرائيل ليساعد في إنجاز المقابل المأمول. وفي أجزاء أخرى من العالم العربي، وبالأساس في منطقة الخليج والمغرب العربي، كان الاعتقاد بان الانقلاب الذي وقع بالسلطة في إسرائيل سوف يمنح عملية السلام زخما متجددا، أدى في تلك الأيام إلى إزالة بعض الجمود الذي ساد العلاقات مع إسرائيل. الأجواء التي سادت في ذلك الصيف كانت تبشر برغبة دول عربية معينة في منح فرصة أخرى لعلاقاتها مع إسرائيل والتعاون الإقليمي، لتشجيع استئناف الزخم في عملية السلام.

ونتج عن التغيير السياسي نتيجة مهمة فعلا، وهي انه بعد فترة طويلة تم استئناف منح تأشيرات الدخول لإسرائيليين في تلك الدول العربية من الصف الثاني، التي فتحت بها إسرائيل مكاتب تمثيل دبلوماسي. ومن ناحيتي الشخصية كان لذلك تداعيات فورية تقريبا تمثلت في تخفيف الموقف القطري وموافقة السلطات على تعيين خليفتي في منصب مدير ممثلية إسرائيل في الدوحة. وبذلك انتهت مهمتي الشخصية أنا وأسرتي لإقامة العلاقات مع قطر. ويبدو الأمر لي الآن وكأننا قد قطعنا طريقنا من إسرائيل إلى قطر أمس الأول فقط، وها نحن في طريقنا

للعودة، عبر هذا الطريق القصير جغرافيا، لكنه طويل من كل جانب آخر. ولكن كل شيء تم ضغطه هذه المرة في بضع أيام في ذروة حرارة شهر يوليو: إجراء اللقاءات الأخيرة مع مسؤولي الحكم ورجال الأعمال القطريين، وداع سفراء بقية الدول والأصدقاء المقربين الذين تعرفت عليهم في الدوحة. وإجراء مقابلات مع الصحف المحلية بمناسبة انتهاء فترة خدمتي وجمع أغراضي الشخصية. وعلى الفور بعد رحيلي على متن رحلة طيران تابعة لشركة الطيران القطرية من الدوحة إلى العاصمة الأردنية عمان، ركبت سيارة أجرة تحملني من مطار عمان إلى جسر اللنبي، ومن هناك إلى بيتي، في القدس، حيث قضيت فترة قصيرة هناك قبل انتقالي إلى مقر عملي الجديد- بروكسل، عاصمة الاتحاد الأوروبي.

واليوم، بعد عدة سنوات من تلك الأحداث، وبعد جولة أخرى من العنف بين إسرائيل والفلسطينيين، أدت إلى تراجع العلاقات مع دول الخليج، يبدو كما لو أن الفيلم يعود إلى الوراء. كما أن نسوءة «الشرق الأوسط الجديد»، التي كانت في الأجواء عندما اجتزت المجال الجوي للمملكة العربية السعودية في طريق إلى الدوحة للمرة الأولى، أخلت مكانها للواقعية الفجة للشرق الأوسط، والمأساوي أيضا.

وخلال كتابة هذا الكتاب، ما زالت هناك جهود لدفع التطبيع مع الدول العربية، خاصة مع إمارات النفط في الخليج العربي. وهناك جهد خاص، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، كان موجها لضمان مشاركة المملكة العربية السعودية في مؤتمر أنابوليس في نوفمبر ٢٠٠٧. الذي خصص لدفع مسيرة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين. وأثناء المؤتمر وبعده صدرت عن الرياض بعض التصريحات الإيجابية، التي تطرقت إلى التطبيع الممكن مع إسرائيل في إطار مبادرة السلام العربية، التي نتجت عن مبادرة العاهل السعودي عام ٢٠٠٢. وهكذا على سبيل

المثال، قال وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل في مقابلة لمجلة «تايم»، في نوفمبر ٢٠٠٧: إن الشرق الأوسط بوسعه أن يتحول إلى جنة عدن، التي يستطيع أن يعيش فيها كل أبناء إبراهيم حياة طبيعية ومزدهرة، متحررين من الشعور بالخوف وعدم الأمان». بل إن شقيق وزير الخارجية، الأمير تركي الفيصل، السفير السابق للملكة العربية السعودية لدى الولايات المتحدة الأمريكية، أوضح بالتفصيل هوية التطبيع المقترح على إسرائيل في الظروف السياسية المناسبة: «إذا استجابت إسرائيل لمبادرة السلام العربية، وانسحبت من كل الأراضي المحتلة ووقعت على اتفاقية سلام شامل، سوف تحظى باندماج كامل في العالم العربي وبعلاقات تطبيع كاملة». وأضاف أن إسرائيل والعالم العربي سيتمتعان، ليس فقط بعلاقات دبلوماسية واقتصادية وسياسية، وإنما أيضا بتعاون في المجالات العلمية والثقافية ومواجهة التهديدات المشتركة التي تهدد سكان المنطقة.

في مواجهة كل وعود التطبيع المستقبلي هذه، استمرت العلاقات الرسمية بين إسرائيل وقطر طوال السنوات الأخيرة، على الرغم من الفترات الصعبة التي مرت بها. بينما قامت دول عربية أخرى، مثل المغرب وتونس وسلطنة عمان بقطع علاقاتها مع إسرائيل بعد فشل عملية السلام واندلاع الانتفاضة الثانية، في مطلع سنوات الألفية الثالثة، سعت قطر إلى الحفاظ على علاقاتها مع إسرائيل. كما واصلت قطر السماح بدخول زوار إسرائيليين إلى الدوحة بغرض المشاركة في المؤتمرات الدولية والمنافسات الرياضية أو في برامج قناة الجزيرة وغيرها من وسائل الإعلام. وهكذا على سبيل المثال تمت دعوة لاعبة التنس الإسرائيلية شاحار بير للمشاركة في البطولة العالمية التي أقيمت في الدوحة في فبراير ٢٠٠٨. وأحيانا كان يبدو أنه ما زالت هناك مخاوف في إسرائيل من زيارة دول الخليج، كما دلت على ذلك ملاحظة لاعب التنس

يوني أورليخ، الذي تطرق إلى احتمال سفره للمشاركة في بطولة تقام في دبي، مع شريكه في المباريات الزوجية «إندي رام»، فقال في مؤتمر صحفي: «دعونا نرى أولا ما إذا كانت شاحار ستعود حية من الدوحة أم لا، وعندها نقرر ما إذا كنت سأسافر». ولكن شاحار سافرت في النهاية إلى الدوحة وملأت صورها جدران ملعب التنس الحديث بالمدينة القطرية وعلى طول كورنيش الخليج. وجاءت زيارتها الناجحة لتبين مرة أخرى المقابل العميق الذي طرأ على استعداد الإمارة لاستضافة إسرائيليين على أراضيها.

وشيئا فشيئا تواصلت الزيارات واللقاءات الرسمية أيضا. وسلطت وسائل الإعلام الكثير من الأضواء بصفة خاصة على الزيارة التي أجراها إلى قطر عضو الكنيست الإسرائيلي ميخائيل ملكيزور في فبراير ٢٠٠٥، من أجل المشاركة في حلقة من البرنامج الشهير Doha Debates الذي تقدمه إذاعة «بي بي سي» البريطانية، وكانت عن السلام في الشرق الأوسط. وبسبب هذه الحلقة تمت إدانة قطر مرة ثانية في وسائل الإعلام العربية بسبب «ميولها الإسرائيلية». وفي العام نفسه أجري في نيويورك لقاء بين وزير الخارجية (الإسرائيلي) سيلفان شالوم ووزير الخارجية القطري الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني. وبمناسبة انعقاد مؤتمر أنابوليس، بعد استئناف مفاوضات السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، نشأت فرصة جديدة لدعم العلاقات ورفع مستوى الاتصالات. وفي تلك الفترة أجرت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني عدة مباحثات مع نظيرها القطري كي تبحث معه استئناف عملية السلام والعلاقات بين الدولتين، بل والتقت خلال مؤتمر الأمم المتحدة في نيويورك، في سبتمبر ٢٠٠٧، أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني. وأكدت ليفني أمام الأمير على أهمية التطبيع، وقالت له: «هناك دور مهم للدول العربية في المسيرة

السياسية، كي تكون قوة مضاعفة للفلسطينيين وأيضا في عمليات مباشرة مع إسرائيل على أعلى مستوى». من جانبه، قال الأمير القطري في مقابلة مع وسائل الإعلام، بعد أيام من هذا اللقاء: « إن سياستنا تقوم على إقامة علاقات صداقة مع الجميع، ونحن في حاجة إلى علاقات طيبة مع إسرائيل، على الرغم من مشاكلنا بسبب القضية الفلسطينية». وبعد عدة شهور من ذلك، في أبريل ٢٠٠٨، أجرت وزيرة الخارجية تسيبي ليفني أول زيارة لها إلى قطر.

ولكن على الرغم من صدور نبرات أكثر ايجابية في بعض الدول العربية بشأن العلاقات مع إسرائيل، ظل الطموح المتزايد من عملية التطبيع في العقد السابق معلقا في الهواء. فالجهود المبذولة لدفع المشروعة متعددة الأبعاد بين إسرائيل ودول عربية في مجالات الطاقة والمياه والصناعة والتكنولوجيا لم تؤت ثمارها بعد. كما لم يتحقق الأمل في أن يؤدي دعم العلاقات المباشرة بين شعوب المنطقة إلى زيادة التفاهم بينها، على سبيل المثال عن طريق برامج ثقافية مشتركة تعلم الأطفال الإسرائيليين والعرب قيم التسامح وقبول الآخر. وبشكل عام، لم يكتمل الأمر بأن تكون العلاقات بين إسرائيل وتلك الدول العربية من الصف الثاني، التي لم تكن متورطة بشكل مباشر في الصراع (العربي الإسرائيلي)، ترسخ الثقة المتبادلة، التي تمثل عنصرا ضروريا في تحقيق التعايش والسلام. وكانت بعض تلك الدول – ومنها الأردن والمغرب وقطر– مستعدة في السنوات الأخيرة أيضا للمشاركة في محاولة إعادة دفع هذه الأهداف لتحقيقها، ولكن الضغط الشديد الذي تعرضت له من جانب الدول العربية المركزية، التي عارضت ذلك، ضرب على يدها.

كانت الفجوة بين الطموحات والواقع عميقة للغاية في الإعلام العربي والرأي العام بدول المنطقة. فمن ناحية، ساهم ظهور متحدثين إسرائيليين في قناة الجزيرة

الفضائية القطرية في إزالة «التابو» المحرم الذي كان قائما قبل ذلك بشأن وجود أية علاقة مع إسرائيل. ومن ناحية أخرى، اضطر ممثلو إسرائيل ومسؤوليها إلى خوض مواجهات متتالية مع النقد اللاذع، وأحيانا مع تعبيرات مسمومة بسبب أفعال حكومتهم. وبلغ هذا الهجوم أعالي السماء وحلق على أجنحة الخيال في كل مرة. حين تظهر على الشاشة صور صعبة لمعاناة السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، أو السكان اللبنانيين خلال حرب إسرائيل مع حزب الله اللبناني في صيف ٢٠٠٦. وكان رفيق حلبي (وهو درزي إسرائيلي كان مديرا للإذاعة والتليفزيون الإسرائيلي الناطق باللغة العربية)، وأحد من استضافتهم قناة الجزيرة، ادعى أنهم «في بعض الحالات اعتادوا ستضافة ضيف إسرائيلي ليجعلوه مثل كيس الرمل الخاص بتدريبات الملاكمة كي يتلقى اللكمات، وكأنهم يرون أن من الواجب إهانته، وأنهم بذلك يشاركون بدورهم في الجهد الحربي لحزب الله». وطوال تلك الفترة كانت تصدر في دول عربية، من بينها قطر أيضا، تعبيرات معادية لإسرائيل بشدة، ومن بينها تلك التعبيرات التي تسعى إلى التشكيك في حق إسرائيل الأساسي في الوجود بالمنطقة. وكانت أبرز التعبيرات على هذا الصعيد ما صدر عن الزعيم الإسلامي الشيخ يوسف القرضاوي في ١٤ اغسطس ٢٠٠٦ في مؤتمر بالقاهرة، دعا فيه الحكام والرؤساء والملوك العرب والمسلمين إلى محاربة إسرائيل بعزيمة وإصرار لطردها من المنطقة و«استعادة فلسطين المحتلة من البحر إلى النهر». هذه الكلمات، التي سقطت على الكثير من الآذان الصاغية في العالمين العربي والإسلامي، سكبت المزيد من الزيت على النار ودعمت الشك بشأن إمكانية اعتراف اغلب الجمهور العام في الشرق الأوسط بحق إسرائيل في الوجود.

إن اكبر العقبات التي تواجه تغيير الواقع الذي وصفناه هو العامل الأساسي

للجدل الدائر بشأن القدرة على دفع مسيرة حقيقية لتطبيع العلاقات بين إسرائيل ودول عربية في المستقبل المنظور. وعلى الطرف الآخر من الصورة يقف أولئك المتمسكين برأيهم بأن كل جهود دفع التطبيع ستضيع سدى، طالما لم ينته الصراع الإسرائيلي الفلسطيني تماما على كل مساراته، وعلى رأسها المسار الإسرائيلي الفلسطيني. وبمزيد من التفصيل، يرى هؤلاء أنه لا جدوى من بذل الكثير من الجهد في العلاقات مع دول عربية بعيدة مثل قطر، لأن قيمتها في صورة الوضع العام محدودة للغاية. ويدعون أنه ينبغي استثمار كل الجهود فقط في حل ثنائي للصراع مع الفلسطينيين والسوريين، بما يفتح الباب أمام قبول إسرائيل من جانب بقية الدول العربية. والإدعاء الأساسي الذي يطرحه هؤلاء هو أن أصعب العراقيل التي تواجه الصراع بين إسرائيل والعالم العربي، هو اتساع رقعة هذا الصراع وشدته، وعدم وجود سبيل عملي إلى إختراقه والتسلل إليه. ويدللون على صحة وجهة نظرهم بالإشارة إلى الرأي المشترك والسائد بشكل واسع في العالم العربي الذي يصر على أن الشرط المسبق لأي تطبيع مع إسرائيل هو اكتمال عملية السلام حتى نهايتها، وفقا لما تنص عليه المبادرة العربية.

وعلى الطرف الآخر، يقف التيار الذي يرى أن الأمور ينبغي أن تسير إلى الأمام بالتوازي وفي نفس الوقت، وأن من المهم جدا أن يترافق أي تقدم في المفاوضات المباشرة بتقدم مماثل في عملية التطبيع مع الدول العربية. ووفقا لهذا الرأي، بوسع العلاقات بين إسرائيل ودول عربية مختلفة أن تساعد في خلق أجواء مساعدة لدفع عملية السلام، لأن الأمر سيقنع الجمهور الإسرائيلي بأن هناك فرصة حقيقية لقبول إسرائيل من جانب بقية دول المنطقة، كما أنه سيحسن صورة إسرائيل أمام الرأي العام العربي بصورة تزيد من حجم المعسكر المعتدل المهتم بالتوصل إلى تسوية

معها. وفي نهاية الأمر، يرى المؤيدون لجهود التطبيع أنه من أجل إنجاز سلام مستقر وطويل المدى إلى جانب توقيع الزعماء من الجانبين على اتفاق رسمي، سيكون من الضروري أيضا إقناع شعوب المنطقة بان الثمن الذي سيدفع على مائدة المفاوضات يؤتي ثماره فعلا.

ورافقت هذه الحيرة الأساسية سياسة إسرائيل منذ فترة طويلة، ورافقت كل فترة خدمتي في قطر، وكل تحولاتها السياسية، واستمرت أيضا في الفترة التالية لانعقاد مؤتمر أنابوليس، عندما أجريت محاولة جديدة لاستئناف التطبيع مع دول عربية في الخليج العربي والمغرب العربي. وفي هذا الإطار تم طرح التساؤل التالي: «هل بوسعنا بعد كل هذه السنوات الطويلة أن نعرف ما إذا كان التطبيع مجرد حلم في ظل الظروف السائدة حاليا في الشرق الأوسط، أم أنه واقع فعلي؟!

الإجابة، في اعتقادي، هي أن من المحظور على إسرائيل أن تتخلى عن محاولة تحويل الحلم إلى واقع. وتجربتي الشخصية في إنشاء أول مكتب تمثيل دبلوماسي لإسرائيل في قطر أثبتت أن هناك جهات قوية بالفعل تسعى إلى منع أية إمكانية لتطبيع مكانة إسرائيل في المنطقة، ولكن هناك أهمية كبيرة للجهود المستمرة لدفع العلاقات مع دول عربية على عدة مستويات. على المستوى الأساسي، من ناحية هوية دولة إسرائيل، هناك أهمية قصوى لدفع المسيرة التي وصفها «ديفيد أوحانا» في كتابه بـ«الانتقال من مجتمع إسرائيلي يضطر للقتال على وجوده إلى مجتمع يسعى إلى إدارة حوار سياسي واقتصادي واجتماعي مع جيرانه». وعلى خلفية التهديدات الأمنية المستمرة التي تواجه إسرائيل، يجري الحديث فعليا عن مسيرة متواصلة وطويلة الأمد جدا، ولكن العلاقات التي نشأت مع بعض الدول العربية تشكل دليلا إضافيا على أنه يمكن دفعها إلى الأمام. ولذلك على سبيل المثال، منذ إقامة

العلاقات الأولية مع قطر وجد زوار إسرائيليون أنفسهم أمام رغبة حقيقية لدى الكثير من الأشخاص في الإمارة الخليجية للتعرف على إسرائيل عن قرب، والبحث عن سبل للتعاون معها. وقد ساعد ذلك الأمر على تغيير الانطباع السابق عن إسرائيل، لدى أولئك الذين كانوا يرون في العالم العربي كيانا متراصا ومتماسكا، والتعرف من قرب على التنوع الموجود بداخله.

وكانت هناك أهمية خاصة، في هذا السياق، تكمن في الفرصة الجديدة التي نشأت من ناحية عرب إسرائيل للربط بين جنسيتهم الإسرائيلية وسعيهم إلى الحفاظ على ارتباطهم بالعالم العربي المحيط. وقد تعرضت لذلك أول مرة في ديسمبر ١٩٩٤، في اليوم الذي أعلنت فيه مانشيتات الصحف عن منح جائزة نوبل للسلام إلى إسحاق رابين وشمعون بيريز وياسر عرفات، عندما ذكر عنوان فرعي في صحيفة «هآرتس» أن وفدا من عرب إسرائيل سيزور قطر للاتفاق على تنفيذ مشروعات مشتركة. وكان ذلك هو أول وفد من عرب إسرائيل يزور دولة خليجية بصفة رسمية. وضم الوفد ٦ من رؤساء المجالس المحلية ورجال الأعمال وأكاديميين وصحفيين. وكانت الرسالة التي نقلتها الزيارة إلى المضيفين القطريين قد دعمت الشعور بأن العلاقة المباشرة التي نشأت مؤخرا (بين قطر وإسرائيل) بوسعها أن تدفع إلى تطبيع مكانة عرب إسرائيل في العالم العربي. بل إن العلاقات بين قطر وعرب إسرائيل ازدادات توطيدا خلال السنوات التالية لذلك، وساعدت أيضا على دفع العلاقات الاقتصادية والإنسانية بين إسرائيل ودول الخليج العربي. وكان البرهان البارز على ذلك متمثلا في تبرع أمير قطر بمبلغ ١٠ ملايين دولار عام ٢٠٠٥ لبناء استاد حيفا لفريق كرة القدم «بني سخنين»، والذي حمل اسم «استاد الدوحة»، وإقامة مركز رياضي في المدينة. وأدى هذا التبرع السخي إلى جعل اسم

قطر معروفا لدى الكثيرين من مختلف شرائح الشعب الإسرائيلي. وينبغي التأكيد على أنه كان هناك في العالم العربي معارضون حتى لمظاهر التطبيع مع مواطني إسرائيل العرب، ولكن نجاح فريق «بني سخنين» يعلمنا أنه إلى جانب تحسن مستوى كرة القدم، فإن العلاقات التي نشأت مع قطر بوسعها أن تساعد في المساعي الرامية إلى التعايش العربي الإسرائيلي. وقد عبر المتحدث باسم فريق «بني سخنين»، منذر خلايلة، عن ذلك حين قال: إن نجاح كرة القدم في سخنين «يساهم في تحقيق هدفنا الاجتماعي – عبر غزو قلوب الأغلبية اليهودية في الدولة بما يساعد على تقبلنا كأسوياء بين أسوياء في الدولة».

ويضاف إلى ذلك، أن العلاقات التي نشأت بين بعض الدول العربية وإسرائيل لها أهمية كبيرة أيضا في دفع مسيرة التغيير التي بدأت في العالم العربي نفسه. وفي هذا السياق، جاء استعداد دولة صغيرة مثل قطر للغوص في المياه العميقة ودفع العلاقات مع إسرائيل، حتى قبل أن يتضح نهائيا مصير عملية السلام، بما منح دعما للعناصر المعتدلة الأخرى المهتمة بإنشاء واقع مغاير في الشرق الأوسط.

ما زالت المخاوف عميق للغاية، كما دل على ذلك امتناع وزير الخارجية السعودية عن القيام بعمل بسيط مثل مصافحة يد رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ووزيرة الخارجية تسيبي ليفني في مؤتمر أنابوليس. وعلى الرغم من ذلك، فإن الكثير من السكان في قطر والبحرين ودبي ودول أخرى في المنطقة التقوا إسرائيليين وجها لوجه، وتعلموا بدورهم كيفية التعرف على التنوع الموجود في المجتمع الإسرائيلي. واكتشفوا خلال ذلك أن إسرائيل أكثر مما تعرضه نشرات الأخبار في القنوات الفضائية أو يقرؤونه في الصحف عنها، وأن بها أعمالا جيدة في مجالات الاقتصاد والبحث العلمي والثقافة. وحدث تغيير كبير منذ الفترة التي شهدت فتح أول

مكتب دبلوماسي إسرائيلي في الدوحة، عندما اندهش أناس من اكتشاف أن إسرائيليين من لحم ودم يقفون أمامهم، ومهتمين بالحياة والعمل في قطر. وعلى الرغم من كل الصعاب، ينبغي الاستمرار في هذه المحاولة لكسر العجلة السحرية للصراع الإسرائيلي العربي، التي تتضمن آراء مسبقة تسلح معارضة التطبيع. وهذا الأمر ضروري للشد على أيادي المؤيدين لاستمرار دفع مفاوضات السلام مع إسرائيل.

ومع مرور ما يقرب من ١٠ سنوات ونصف، منذ بدأت المحاولات الأولية الجادة لدفع التطبيع، بات التوازن المرحلي أمرا ثانويا. وحققت جهود دفع علاقات الجيرة مع دول عربية قريبة وبعيدة إنجازات خاصة مع شريحة رقيقة من الزعماء المعتدلين ورجال الأعمال. وفي المقابل ظلت شرائح واسعة – تشمل أوساط المثقفين والزعماء الدينيين ورجال الإعلام الذين يقودون الرأي العام – معارضة لأية علاقات من أي نوع مع إسرائيل. ومع ذلك تشكلت أرضية مهمة للمستقبل، والأكثر من ذلك أن كل ما استثمرناه سنجده أمامنا، فقط عندما تكتمل عملية السلام مع الفلسطينيين.